عالم فارغ

« يكون قلبُ الرَجلِ دائماً قبراً لامرأة واحدة ، اما قلبُ المرأةِ فيكون عادة قبراً لعدة رجال » يوميات مراهق ج ٣
صفاء الحيدري

ومررتِ بي
ما كان قبلُ بعالمي غيرُ انتظار
وغير شيءٍ كالدوارْ
وحقيقةٍ ضاحت بضوضاء النهارْ
ومضى النهارُ ، مضى النهارْ
مرتْ دقائقُه كأحلامٍ قصارْ
وغررتِ بي ،
وتركتني
أطوي على الجُرحِ الأبيّ وأنحني
والليل ، مدّ ظلالَه السودا جدارْ
فرشتْ كواكبُه دروبَ الشمسِ فانكفأ النهارْ
وأتى نهارْ
ونظرتُ في عينيكِ ، كنتُ كمستحمٍ فوقَ نارْ
كانتْ هنالك هوةٌ ،
تنهدُ في ما لا قرار
وبدت لياليَنا تطلّ عليّ منْ ألفيْ مدارْ
فرأيتُ قلبَك فارغاً
لا ليلَ فيه ولا نهارْ.

بغداد

صفاء الحيدري

وبدت مصابيحُ الدجى
كوجوهِ آلهةٍ صغارْ
يتحسسُ الصمتُ العميقُ
ظلالَهن على الجدارْ

العمياء » و « والاسلحة والاطفال » و« اغنية المطر » و « رؤيا فوكاي»، هذا بالرغم من انك تجد في « الاسلحة والاطفال »بعض الصور التي مررنا بها في مجموعة « اساطير » اعادها علينا السياب مرة اخرى ، وبألفاظها احياناً . كما ان مطلع هذه القصيدة :

عصافيرٌ ؟ ام صبية تمرح
عليها سنا من غد يلمح

يذكرني – ولست ادري – بمطلع قصيدة الجواهري « حنين » :

احـــن الى شبح يلمح
بعيني اطيافه تمرح

فالسياب – كما يبدو لنا – من ابرز الشعراء الشباب قدرة على التطور النامي ، والخضوع لقوى الجذب الفكري . فهو في تناجه الاخـــير ، شاعر من شعراء الفكرة ، مع الحفاظ على البناء الفني . شاعر من اكبر شعراء الانبعاث في ادبنا العراقي الحديث .

اما نازك الملائكة فمظم قصائدها التي جمعتها في ديوانها الموسوم بـ«عاشقة الليل » ، من النمط الرومانتيكي ، الذي واكبت به قصـــائد السياب في « ازهار ذابلة » . ففي قصائد « عاشقة الليل »ينعكس الطور الرومانتيكي الذي مر به الأدب العراقي ، احدث انعكاس واصفاه . وهو طور قصير، كعمر العمر ، ذهب الى حيث لا يرجع الذاهبون.

أما في ديوانها الثاني « شظايا ورماد » ، فنجد هناك محاولة ، اخفقت فيها ، للتخلص من داء الرومانتيكية العضال ، ولكنها استعاضت عن ذلك ، بأن اتضحت لديها معالم فلسفة انتهجتها في كل قصيدة من قصـــائد هذا الديوان ... العالم في نظرها فراغ رهيب ، فراغ غير ذي حدود ، ولا مساقط للنور فيه . فتأمل هذا الفراغ وادمان النظر فيه ، يزيد من ثروة النفس والروح – كما أوحى بذلك الشاعر الايطالي ليوباردي – !... وما قولك بمن يحج الى محاريب الطبيعة ، فلا تلقي الطبيعة إليه ،إلا بلمسات الالم، ومشاهد العتمة المفزعة ، كما في قصيدتها « يوتوبيا فوق الجبال » .

الحق أن جلال الطبيعة يوحي بكثير من امثال هاتيك الصور القاتمة ، ولكن اسراف نازك الملائكة ، يدلّ على ضيق الافق الذي يضطرب فيه جناحاها !

ويبدو في شعر نازك ، في « شظايا ورماد » أثر من « ت . س . إليوت » و «أديث سيتويل » ، لا سيما في قصيدتهـــا « مرّ القطار » و« خرافات ». كما يبدو اثر السيّاب بقصائد « اساطير » واضحاً في شعرها، إذ انها قرأت معظمها مخطوطة قبل النشر ... (ونسجل ذلك للتاريخ !)

ومن فلول الشعراء الرومانتيكيين في الأدب العراقي ، أكرم الوتري، صاحب ديوان « الوتر الجاحد » . وهو مجموعة شعرية لحمتها الحب، وسداها الحرمان ، اي انه لحن يتيم من وتر واحد ، تسمعه من أول الديوان حتى منتهاه ، فلا ترتفع في اللوح ، ولا تهبط في قرار . هو نغم متسق جميل ، ولكنه فقد كثيراً من روعته وسحره ، بهذا الانسياب المكرور، والهمسة الطويلة المتصلة ، التي تدغدغ الآذان . واسلوب الوتري اســـلوب نقيّ صاف ، ولكنه قليل الصباغ والالوان . ومفرداته اللفظية نزرة ، يسيرة، استمد معظمها من ابي شبكة والترجمة العربية للكتاب المقدّس .

وهناك شاعران آخران ، نشأ نشأة فكرية متشابهة ، ثم افترقت بهما السبل ، هما : كاظم جواد وعبد الوهاب البياتي . فقد بدأ كاظم جواد حياته الشعرية ، شاعراً من الشعراء الخطابيين ، محتذياً في ذلك عمر ابو ريشة وبدوي الجبل ، ملتزماً في قصائده التقليد الشعري الموروث ، كما تجد ذلك في قصيدة « لاجيء » و « المدينة الفـــاضلة » حيث أثر ابو ريشة واضح هناك . على ان هذا الشاعر قد انتقل من هذا الطور الخطابي ، وانتقض عليه ، بعد ان صافحت ذهنيته ، آثار الشعراء المعاصرين ، من امثـــال « بابلونيرودا » و « ناظم حكمت »، فاستقامت له شخصية ثابتة واضحة المعالم، بأن كان من أول المبشرين بالشعر العقائدي ، مع الايمان بضرورة خلق قوالب جديدة في الشعر العربي . وقد وفق الى تقديم نماذج من هذا الشعر الذي يدعو إليه ، نجدها في قصائده الاخيرة : « لعنة بغداد » و « أنباء من طهران » و « معركة الحرية » و « الصامدون » . وهو بذلك يعتبر من أبرز الشعراء الذين يؤمنون بضرورة الالتزام في الشعر . وهو يرى أن الشعر ، في العصر الحديث ، ضرب من ضروب الدعاية ، بأرفع معانيها.. دعاية لأنبل ما في الانسان !

٥٦